مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 10 عدد: 2 السنة: 2021
ص: 262 - 277 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

تجليات الشعرية بين الفضاء السردي والنثري

Poetic Manifestations between the Narrative and Prose Space

عبد الحميد معيفي [1]* وردة ربعاني [2]

abdelhamid maifi[1] , Warda rebaani [2]

جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف–، (الجزائر)

University of El-Tarf - Algeria

hamidmaifi17@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/11/05	تاريخ القبول:2020/12/05	تاريخ النشر: 2021/06/02

ملخص البحث

إن الشعرية مجال الجماليات، إنها السباحة في العالم السحري دون مقدمات ومغازلة الأفق البعيد بالكلمات، وذلك باقتحام الفضاء السردي والنثري المنعشان للحقل الأدبي بشعرية المعنى المحاطة بشعرية اللفظ في العديد من الأحيان العاملة على إثارة عقل المتلقي ووجدانه، وذلك بالبساطة في الطرح والعمق في المعنى، لنقول: هل يمكن لشعرية الفضاء السردي والنثري أن تؤثر في المتلقي التأثير الحقيقي، وإلى أي مدى يمكن أن تصل درجة التأثر مرتكزين في ذلك على أمثلة سردية ونثرية في محاولة تحليلية للطرح من جانب, وكيفية التعامل مع هذا الطرح من جانب آ خر للصول إلى نتائج من أهمها:أولا. الأداء السردي يحتاج إلى تأمل وبعد نظر في ذات الأشياء لإعادة تركيبها في هدوء ليولد إيقاعها المنبعث من الأعماق ليصبح المسرود مؤثرا فعالا، وثانيا . النثر الفني يعتمد على أساليب الابتكار المرتكزة على الصور الناقلة للأفكار المنبعثة من الطبيعة لإصدار الصور وبعث الحياة بوجدان المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الشعرية، تجلياتها، الفضاء، السرد، النثر

Abstract

Poetry is the domain of aesthetics, it is swimming in the magical world without introductions and flirting with the distant horizon with words, by entering the space of the narrative and prose refreshing the literary field with poetic meaning surrounded by poetry of the word in

* عبد الحميد معيفي، hamidmaifi17@gmail.com

many cases working to excite the mind and conscience of the recipient, by simplicity in proposition and depth in meaning. Let's say: Can poetry of the narrative and prose space affect the recipient in real influence? And to what extent can the degree of influence be reached based on narrative and prose examples in an analytical attempt to demonstrate on the one hand, and how to deal with this proposition on the other hand to reach the most important results among them: 1) the narrative performance requires contemplation and consideration of the same things to restructure them quietly to generate their rhythm emanating from the depths to make the narrative effective, and 2) the artistic prose depends on methods of innovation based on images that convey ideas emanating from nature to produce images and bring life to the consciousness of the recipient.

Key words: poetry, manifestations, space, narration, prose

تمهيد

تحتل الشعرية مكانة مرموقة، لأنها تحظى بعناية خاصة من طرف النقاد والأدباء والشعراء، وكذلك من طرف المتتبعين كالباحثين والدارسين والمحللين والقراء، فهي تمثل القلب النابض الذي ينعش حياة النص الأدبي ويجعله يتفوق على غيره من النصوص. فمطاردة الشعرية في النص لوحده يمثل متعة كبيرة، فهي التي تجعل المتلقي يسبح في عالم الجمال ليكون كالطائر الذي يحلق في أعالي الجبال، ولا يصل إلى هذه الأماكن إلا متسلق ماهر عرف المسالك المؤدية إليها مع إتقان وإجادة تامة في تطبيق جميع القواعد، والمرور بكل النقاط التي من شأنها أن تعزز حضوره واستمراره ووصوله لتمكنه من مغازلة ذاك العالم السحري الذي يذهل العقول بجماله الفياض، ويأسر القلوب في حيز الفتنة، ليتجلى هذا العالم فنتمتع ونستفيد،لأنه عالم السباحة في خبايا المجهول معلنا وكاشفا عن جماله السحري موقظا أحاسيسنا النائمة منذ سنين، إنه عالم الرسم بالكلمات والجمع بين المتناقضات.

أولا / شعرية السّرد :

إن القارئ الجيد والحقيقي يتمتع بالأدب ويستفيد منه حين يقرأه، وحين يتأمله وحين يسمعه، ولا يهمّ في هذه الحالة إذا كان ما يقرأه،أو يسمعه،أو يتأمله قصيدة شعرية (حرة أو

عمودية)،أو رواية أو قصة، فالمهم عنده هو تمتعه بالأدب سواء أكان منثورا أو موزونا ونقصد بالعبارتين الأخيرتين بأن القارئ في بعض الحالات يجد في المنثور ما لا يجده في الموزون،وليس كل ما هو موزون ممتع ومفيد، ولا كل ما هو منثور تنقصه المتعة والإفادة.

وإنما الكتابة بصفة عامة تعود إلى حالة صاحبها كيف كتب، ولماذا كتب،ولمن كتب وهل ما كتبه يعبّر بصدق عن الأوضاع والحالات والمواقف التي كتب عنها ومن أجلها لذلك فهذه التساؤلات هي التي تميز بين كتابة وأخرى؛لأن القارئ الجيد كما قلنا سلفا يستفيد من الأدب بأي شكل من الأشكال، فعنده مهمة واحدة وغاية واحدة، وهي الأدب من أجل الأدب فإذا كانت هذه هي غايته الأصلية، فإنه لا محالة سيأخذ من الأدب الكثير والكثير، وإذا كانت غايته أشياء بعيدة عن الأدب، فإنه لن يأخذ من الأدب إلا القشور.

وحين ننظر إلى النص النثري، وبالتحديد النصوص السردية،فإننا نرى أن هناك عناصر تكون محتواة في النص،تقرب القارئ وتجذبه على المتابعة والتأمل، ومن هذه العناصر المهمة، نجد الإيقاع، فالكاتب المتميز يضع إيقاعا خاصا بعباراته فيجبر هذه الكلمات ويقودها إلى التفرد والتميز،ويقترب ما يقوله من الشعر، «... **ولكي يصبح السرد شعريا لا بد من إدخاله في الفضاء الإيقاعي للقصيدة مما يمنحه إيقاعا متفردا نابعا من ذات الشاعر أثناء الوصف وإعادة صياغة الواقع بعين الرائي الشعرية ؛لان إيقاع هذا الأسلوب "أسلوب السرد " لا بد أن يكون أكثر ميلا إلى الهدوء والبطء...**» [1]

وهذه الحركة الهادئة والبطيئة في الوقت نفسه من شأنها أن تدغدغ إحساس المتلقي وتثير مشاعره؛ لان العاملَين يُكَوّنَان معا الانسيابية والسلاسة اللفظية، والعاملان الأخيران يعملان دوما على ربط ومتانة السلك الخفي الواصل بين الكاتب أو الشاعر وبين المتلقي الذي هو في حاجة أيضا إلى الهدوء؛ لأن الأدب من شروط استماعه والاستفادة منه الهدوء والاستقرار النفسي، وهذه الوضعية تتلاءم مع الأدب الهادئ البطيء وهذا ما يتميز به أسلوب السرد وهذا الأسلوب يجعل المتلقي متابعا باهتمام كبير مع تركيز عال.

كما أن أسلوب السرد المبني على الأداء الذي يمتاز بالهدوء والبطء، يضع للنص المسرود شعرية إضافية، تجعل المتلقي مشاركا في العملية الإبداعية، ويصبح مُكمّلا للعملية الحوارية، فهو الحلقة الثالثة التي تجعل من العمل الأدبي إبداعا كاملا، فالإبداع الكامل يعتمد على ثلاثة عناصر،

وهي: الكاتب أو الشاعر، والنص، والقارئ، فإذا تلقى القارئ العمل بإحساس شاعري فياض، فإنه يصبح ذا فاعلية كبيرة، «... **فشعرية التلقي إسهام في إنتاج النص وكشف لقيمه الجمالية المختلفة، فتفعيل دور القارئ والإنصات لإجراءاته التي يعاين بها النص ... هو الذي يعطي للشعرية إمكانية التحقق والوجود العيني القابل للتقصي ...**»[2]

إذا فأسلوب السرد في هذه الحالة هو العامل الأول في صنع الشعرية، وهو السبب كذلك في جعل المتلقي ينظر إلى النص نظرة شعرية جمالية، لذلك فهناك حواران، قدرة النص على صنع الشعرية الذاتية، وتفعيلها لتصبح شعرية خارجية بإمكانها أن تحاور أعماق المتلقي وتحاور إحساسه، فتصنع منه إحساسا فعالا، يدفع المتلقي إلى الغوص بخبايا النص، ومحاورا جادا، ومستعدا لرسم أبعاد النص، ومشاركا خاصا في إنشائه من جديد وبعثه مرة أخرى، فيصبح في هذه الحالة المتلقي مؤلفا ثانيا،"...**فالشعرية في هذه العلاقة التي تنشأ بين القارئ والنص، والقارئ. في الأخير. هو المعني بالحكم على النص ...**"[3]

كما أن الشعرية في هذه الحالة تقوى وتظهر بشكل جلي بين المتلقي والنص وكلما كانت علاقة المتلقي بالنص متينة كلما كانت الشعرية بارزة، وبروزها في هذه الحالة يشكلها أو يُظهرها السرد الموضوعي، «... **ويكون الكاتب مقابلا للراوي المحايد الذي لا يتدخل ليفسر الأحداث، وإنما ليصفها وصفا محايدا كما يراها، أو كما يستنبطها من أذهان الأبطال، ولذلك يسمى هذا السرد موضوعيا ؛لأنه يترك الحرية للقارئ ليفسر ما يحكى له ويؤوله.**»[4]،لذلك فالشعرية في هذه الحالة تكون شعرية مشتركة تنطلق من الراوي الذي يكون محايدا، وكأنه يحمل رسالة من مكان ويوصلها إلى مكان آخر، وبهذا يجعل أو يترك مساحة للمتلقي وحرية كاملة، فيؤّول ما يمكن له تأويله، ويفسر ما يحق له تفسيره ويحلل كذلك ما استطاع تحليله، وبعد ذلك يضع نتائجه المتوصل إليها فهو بإمكانه أن يحذف ما يراه زائدا عن الحاجة في النص؛ لأنه أصبح مشاركا وجزءا لا يتجزأ من العملية الإبداعية .

وما يجعل المتلقي عاجزا في بعض الحالات عن إظهار شعرية النص السردي، بل تصبح مشاركته سطحية، ويصبح يلعب دور القارئ الثاني، إذا كان النص المسرود يقوم على الاجترار، « **وفيه يستمد الأديب من عصور سابقة ويتعامل مع (النص الغائب) بوعي سكوني فينتج عن ذلك انفصال بين عناصر الإبداع السابقة واللاحقة، ويمجد السابق حتى ولو كان مجرد**

(**شكل) فارغ** .»[5]، فهذا الاتكاء على العصور الغابرة يكون إرهاقا للكتابة وإفراغا لمحتواها، ولن يتقدّم النص بل يجعله الكاتب يتأخر، وربما يفقد الشعرية تماما؛لان الكاتب في هذه الحالة أصبح مقلدا، وبهذا يذوّب عامل الصدق . العامل . الذي يثير إحساس المتلقي، ولهذا السبب يجب على الكاتب أن يكون صادقا؛ لأن الراوي في هذه الحالات يكون محايدا، «... **والعمل الذي يسرده إنما يصل إلى المتلقي من خلاله هو، فلا بد أن يكون مطبوعا بوعيه وثقافته وبمواقفه تجاه القضايا والأشخاص.**»[6]

وما يرفع من شعرية النص المسرود، هو أن يكون الكاتب نفسه هو الراوي، ويكون صادقا فيما يكتب، وفيما يصف، ويعبر ناقلا بكل أمانة ما شاهده وعاينه، وأن لا يكون مقلدا بل عليه أن يكون خلاقا مبدعا، له نظرة استشرافية، وبهذا يساير ويساهم في تشييد ركب الحضارة الإنسانية، فالكتابة بمداد القلم بعيدة كل البعد عن الكتابة بدماء القلب، وليس الذي يكتب بوجدانه وإحساسه كالذي يكتب بأنامله، فهناك فرق كبي، فالأول سينتج أدبا جافا لا يحرّك فينا شيئا ولا يثير أدنى إحساس أو شعور، بل سيزيدنا جمودا وتخاذلا، أما الثاني فهو سيلهب عواطفنا، ويحيي فينا الضمير ويجعلنا نتشبث بالحياة، ونسعى لمصالحه المبادئ السامية وهذا هو دور الكاتب الحقيقي، الكاتب الأصيل، القادر على بعث الحياة في كل شيء .

كما أن دور الكاتب أو الراوي لا يقتصر على الأفكار التي يؤمن بها فحسب . ولربما قد تبقى حبيسة ذاته . إنما نريده أن يفجر كل شيء في نصه، ويثير في المتلقي القلب والعقل معا « **ولعل كثافة إنتاج المعاني وسعة انتشارها على جسد النص من شأنها أن تمتحن قدرات القراءة على الإحاطة بها، وتمثل فضاءها المشتبك والمتداخل وبما يحدد مصيرها في الوصول إلى مشاركة إبداعية في إعادة تشكيل شبكة المعاني المفتوحة وإنتاجها على وفق فلسفة القراءة وأخلاقياتها وأساليب تدخلها في النص** »[7]، فالشعرية هي اشتراك عدة عوامل منها عوامل خارج النص، وقد تكون تخص الكاتب أو الراوي، ومنها عوامل تخص النص في حد ذاته، فالكاتب إذا كانت له القدرة على الكتابة الحقيقية فبإمكانه أن يصنع الشعرية التي يبحث عنها ويناشدها المتلقي ؛لان دور المتلقي يأتي في مرحلة تالية حينما يريد أن يصل إلى معنى المعنى، أي في حالات عديدة بإمكان القارئ أن يضيف شعرية جديدة تدعم شعرية النص السابقة، و«**إن**

المهمة الأساسية التي يضطلع بها النص الأدبي هي مهمة تشكيل تؤمن إنتاج إشكالية معنى متاحة أمام تطلعات القراءة ...»[8]

وتبقى الشعرية الجديدة التي بإمكان القارئ أن يصنعها هي من تطلعات القراءة، وليست من تطلعات كل قارئ ؛ لأن القرّاء يختلفون في القراءة، وكذلك في الأهداف والغايات، لذلك فالنص حياته بين مقدرة مبدعه على التأليف، ومقدرة قارئه على الفحص والتأمل، و« **في علاقة القراءة بالمعنى يتحدد شكل القراءة وشكل القارئ، وشكل المقروء عبر ترشيح ثلاثة مقاصد في إشكالية المعنى تتراءى في مرايا نظرية القراءة، هي مقصد المؤلف ومقصد القارئ، ويمثل مقصد القارئ في تشكيل معنى مضافا إذ يتوجب على قارئ أصيل أن ...»**[9] يغوص بأعماق النص ويفجر مكوناته، كي يقدم له النص ذاته وما يبحث عنه؛ لأن النص في هذه الحالة عبارة عن صندوق مغلق، إذا لم يتحصل القارئ على المفتاح، فإن الصندوق يبقى مغلقا، وبذلك يبقى النص مبهما

ولفك هذا الإبهام لابد على القارئ التقرب من النص لاغيا كل الحدود، ما دام يقرأ بأمانة ويحلل بدقة وموضوعية، وغايته أن يسمو بالنص ويرفع من شأنه، ومن قيمته الشعرية وقيمته المعنوية، ويرسّخ ويثبت ما يؤمن به صاحب النص، والنص في حد ذاته إذا عليه أن يعالج النص بروحه وإحساسه، ليصبح الكاتب أو الراوي والنص والمتلقي كتلة واحدة، لأن في هذه الحالة، « **لا قيمة للظواهر اللغوية والموسيقية في حد ذاتها ما لم تندغم هذه الظواهر في نصها الكلي، كي تسهم في الإحساس بشعريته ... وكل حديث عن الظواهر منفصلة معزولة إنما هو بحث في الإمكانات التي يصفها هذا المكون على البنية النصية الكلية من جهة الشكل أو الدلالة، وهي كلها منافذ لا كتناه شعرية النص**» [10]،وشعرية المسرود تقوى وتتجلى ويزداد تأثيره بسببها على المتلقي من حيث المبنى والمعنى حين يكون في هذا النص عنصر « الحوار»، فالحوار في النص السردي مهم جدا في تدعيم الربط بين الأحداث، والتنسيق بين المواقف الصادرة من طرف الشخصيات .

كما لا يجب أن تكون الشعرية متعلقة في الجانب السردي بالكاتب أو الراوي، وكذلك النص المسرود فحسب؛ لأن الشعرية في هذه الحالة تبقى غير كاملة، ما لم تجد من يفعلها ويعطي لها اللمسة الفنية، وهذه اللمسة تكتمل حينما يأتي المتلقي الواعي بحقيقة الكلمة الصادقة ليكون هو

أصلا متلقيا شاعريا له قلب حي وإحساس فياض وكيان ينبض بالشعرية والشاعرية فنجده مهيأ للتقبل والتكيّف مع جميع المواقف والأحداث، فيتوغل بأعماق النص كاشفا عن جماليته مفجرا شعر يته مثبتا إياها، لتصبح واقعا وحقيقة ثانية في النص، وليست مجرد طيف،وهذا بفعل القارئ، الذي نرى بأنه يبقى عله الدوام جزءا مهما في العملية الإبداعية ورغم أن الكثير من القراء يقسون أنفسهم، ويضعون أنفسهم ملاحظين فحسب، ولكن في كثير من الأحيان لا يشعر المتلقي إلا ويجد نفسه معنيا بشكل، أو بآخر في معالجة العديد من القضايا التي يطرحها النص،وبذلك يعود إلى مكانه الأصلي، وهو انتماؤه الفعلي إلى حيز العملية الإبداعية؛ لأنه بالفعل يبقى على الدوام جزءا منها.

ولهذا على المتلقي أن يقترب من النص، ويتأمل عن كثب تفاصيله ويعاينها معاينة الطبيب المختص لمريضه لكي يثير ما هو غامض ومتستر خلف الكلمات والجمل، لأن النصوص لا تكشف عن جمالياتها إلا إذا وجدت قارئا جادا ومتحمسا، حينها تبوح له بأسرارها كاشفة عن ثوبها الحقيقي وجمالها المتستر خلف كلماتها، فتظهر حينها شعرية النص وتتجلى بوضوح وتظهر قيمة النص الحقيقية .

إن السرد إذا أراد أن يكون شعريا لا بد على السارد أو المؤلف أن يعطي لما يسرده إيقاعا ينبع من ذاته أي ليس صنعا أو تمثيلا بل يكون صادقا لأنه منطلق من الواقع ومعالج له ولابد أن يتبع المؤلف الأسلوب الهادئ الذي يشعر المتلقي بالثقل والبطء في توالي الأحداث وهذا كله في حاجة إلى المتلقي العارف المتلقي الشاعري والمتفاعل فهو يساهم من خلال تفاعله في الكشف عن جمالية النص وبذلك تظهر الشعرية وتتجلى، وهذا المقطع للكاتب واسيني الأعرج الذي نراه جديرا بأن يكون مثالا حيا حين يقول : "...**فأتوني بالدفاتر يا فقراء العالم، أسجل الإدانة الرسمية ... فقد صار جسمي كتلة سوداء ضد ألم الكتابات اليومية ..**"[11]

إن هذا المقطع السردي فيه الكثير من مميزات الشعر ؛لأنه لم يعد ذاك الكلام المباشر بل صار موحيا ورامزا وفيه من الصور البديعة التي نقلته من الكتابة العادية إلى الكتابة الفنية .

كما أنه في مقطع آخر يثبت الكاتب بأن الوطنية تسري فيدمائه، فهو يساند وطنه حين يقول :

"...**يا وطني المطعون في القلب ...ها أنذا جئتك طوع نفسي ...**"[12]

ففي هذا المقطع تحريك للمشاعر وإثارة للأحاسيس،فمن خلاله نحس بأهمية وقيمة الوطن،وهذه هي الكتابة ليست جمالية لفظية فحسب وإنما الشعرية معنى ومبنى كما يظهر في مقطع ثالث الازدحام من أجل لا شيء مع ترك الأمور الأخرى حين يقول " [13]

"...يبتلعهم المقهى الوحيد صباحا ليتقيأهم في كل مساء بكل عناء..."

وفي هذا المقطع يبرز الكاتب ويعري الحقيقة بأن العاطلين عن العمل حتى المقهى يشمئز من جلوسهم طوال اليوم، ويختم بعبارة فيها شعرية (في كل مساء بكل عناء) وتؤكد المعنى تأكيدا جليا، وتبقى لمسة الفنان واضحة وجلية سواء أكانت لمسة شعرية أم لمسة نثرية، فالإبداع يبقى إبداعا، والفنان الحقيقي حينما يتأثر يئن قلمه وأنينه صداه يصل إلى الأعماق، ولا يهم حينها أي الطرق سلك، المهم أنه وصل .

ثانيا / شعرية النثر

إن كلمة نثر تنم عن البعثرة والتوزيع وكذلك النشر والتفرقة وفي الجانب الأدبي تأخذ شكلا مغايرا لما توحي وتدل به الكلمة في حد ذاتها، فالنثر أحد وجهي الأدب لأن هذا الأخير يُعرف بأنه شعر ونثر، ودائما تسبق كلمة الشعر كلمة النثر ؛لأن الذوق الإنساني يميل دائما إلى العذوبة، والنفس ترغب وتميل كذلك إلى المتعة فإن قلنا هذا الكلام فهذا لا ينفي المتعة التي يولدها النثر بأجناسه المختلفة والمتعددة وهي الرواية والقصة والخاطرة والخطابة والرسالة والمقالة ...إلخ، وغيرها من الأجناس المتعددة التي تنطوي تحت مظلة النثر، وهناك جنس تعبيري جديد في الساحة الأدبية، وهو الشعر المنثور أو بالأحرى قصيدة النثر، التي لها روادها ومؤيدوها.

كما أن النثر بدوره ينقسم إلى أقسام منه النثر العادي، وكذلك النثر الفني، وهذا الأخير هو المعني بالدارسة والاهتمام، فأصحابه يمتلكون قدرة إبداعية كبيرة خولت لهم القول في هذا القسم من أقسام النثر، وهو قسم يحظى بالرعاية والاهتمام ؛لأن فيه من الجمال والمتعة ما يجعله يتفوق على الشعر في كثير من الأحيان، وخاصة في الخواطر التي كثيرا ما تفضل على القصائد، وزيادة على ذلك أن في هذا النثر شعرية عالية تجعل من هذا النثر يرقى إلى أعلى المستويات، ويؤثر تأثيرا كبيرا في المتلقي الذي يميل بدوره إلى العذوبة والسلاسة، وهما ميزتان تتميز بهما الكثير من الكتابات النثرية .

كما أن شعرية النثر تنبع "...**من اختيار دقيق للألفاظ العذبة، وبناء متمكن للجمل بحيث تأتلف حروفها وكلماتها في نسق معين... ومن اعتماد على الجمل القصيرة المتساوية الطول أو المتقاربة، ومن مراعاة المشاكلة بين عدد من الجمل المتجاورة وترديد لألفاظ معينة واستخدام للسجع والجناس بين الحين والآخر** ..."[14]، وبذلك يحقق النثر تقدما واضحا في عالم الإبداع الكلامي الذي إن سمعه المتلقي اطمأن له وإن قرأه استمتع، فالنفسية الشخصية تميل إلى العذب الحسن، والنثر يأخذ بعض مميزاته وبذلك يتفاعل المتلقي بدرجة تقترب كذلك من درجة تفاعله مع الشعر .

ومما يزيد في شعرية النثر أن الكتاب يكتبون في مواضيع متعددة ومتنوعة مما يسهل عليهم عملية الإبداع كما يعتمدون في هذه الكتابات على الوصف الذي هو أساس الإبداع إن كان صاحبه ذواقا وذو حس مرهف، فإنه يأتي دوما كلما وصف بالجديد، وهذا ما يجعل من النثر حاملا لرسائل ذات غايات سامية ونبيلة تعمل على التغيير وتدعو إلى التقدم زيادة على ذلك أن فيه من المتعة والجمال ما يذهب بالخيال بعيدا ؛لأن الانطلاقة لم تعد انطلاقة واحدة بل أصبحت انطلاقات والكتاب لهم كما قلنا سلفا موضوعات تُكتب على شكل مقالات " **تعالج هذه المقالات موضوعات متعددة وإن برز من بينها الحديث عن الحب والجمال والشعر والرؤى والحياة والموت والطبيعة وكلها موضوعات يمكن أن تفيض بالشعر كما يغرم الكاتب بالمواقف والأفكار التي تقوم على المقابلة وما شابهها** ..."[15]

إن هذا التناقض في اتجاه هذه الموضوعات مثل (الحياة والموت) و(الحب والجمال) ويقابله (الكره والقبح) وثنائية (العلم والجهل)، والتي تُعتبر من بين الثنائيات المهمة التي يهتم بها الكتاب فمنهم من يكتب عنهما معا فيبين في مقالاته إيجابيات العلم ويدعوا إلى اتباعها ويبين سلبيات الجهل ويدعوا إلى الابتعاد عنها، وبهذا يستطيع الكاتب أن يبدع، و يحقق الشعرية ؛لأن الكتابة في موضوعين متعاكسين في حد ذاته يمثل شعرية التناقض، والنثر قادر على الإلمام بالعديد من المواضيع، والخوض فيها بشيء من التوسع والإلمام، والكاتب له الحرية أكثر من الشاعر ؛لأن " **النثر سرد محلول مرخى متفرق ومبسوط كالكف، وطبيعة مرسلة وأهدافه إخبارية أو برهانية، وهو ذو هدف زمني، يتوجه إلى شيء يخاطب، وكل سلاح خطابي قابل له ويقيم علاقته**

بالآخر على جسور من المباشرة، والتوسع والاستطراد والشرح والدوران والاجتهاد والوعي بمعناه العريض ويلجأ إلى كل وسيلة للإقناع ..."[16]

وقد تكون العوامل المذكورة سببا في إبعاد النثر عن الشعرية أو بالأحرى إبعاد الشعرية عن النثر، وخاصة العامل الأخير المذكور في القول السابق، و هو: (يلجأ إلى كل وسيلة الإقناع)، فإذا عمد الكاتب إلى الإقناع، فهو يدنو من المباشرة، وبذلك يبعد .بل يحاول أن يوحي وهذا نجده عادة في النثر الفني الذي يعتمد على أساليب الابتكار " **ويعتمد في كثير من الأحيان على المناجاة وفي بعضها على حوار الآخرين، كما يعتمد أساسا على التصوير فيرسم اللوحات التي تبرز أفكاره في صور مأخوذة من الطبيعة عامة والزهور والمياه والجبال والوديان خاصة، ومن الحياة المتمثلة في الأطفال والحسان والطيور بشكل واضح، ولا يقتنع الكاتب بهذه اللوحات العامة بل تُبرز كثيرا من معانيه الأدبية في صور حية أيضا..."**[17]

وهذا ما يحاول كل كاتب سواء أكان في بداية مشواره الإبداعي، أم له باع كبير في الكتابة، فهنا تكمن الشعرية ؛لأن الكاتب في هذه الحالة لم يعد ناقلا حرفيا لمجريات الأحداث بل أصبح حسب المقولة مصورا ورساما يعتمد على ما هو واقعي، فيلامس من جهة الطبيعية آخذا منها أجمل الصور مضفيا من خياله وأفكاره يبني عالما أساسه الواقع وسقفه الخيال، ولا يعتمد على العنصرين المذكورين فحسب، بل يعتمد على تجاربه الخاصة ويبث فيها أجمل المعاني الأدبية الحية، ويخرجها في أجمل الصور،وأبهى الحلل، فتكون مثل الدرر، وبذلك يُحلق الكاتب في سماء الشعرية النثرية، والتي بدورها تفتح له المجال كي يبدع وتجد كتاباته صدى وقبولا لدى المتلقي، حتى أصبحت الأعمال النثرية " **ترقى إلى منزلة شعرية عالية "**[18]، لتجعل المتلقي يتشبث بها، وربما يفضلها على الأعمال الشعرية في حد ذاتها .

كما نجد الكتّاب وصلوا إلى درجة عالية من الإبداع الفني، وحاولوا تجاوز الشعر بقصيدة النثر، و" **تمثل ولادة قصيدة النثر رغبة عميقة في التحرر من تقاليد اللغة والتمرد على قوالب العروض ووضع حد لطغيانها الذي يحدد بمفردة شعرية النص.**" [19]

من خلال القول نجد أن النثر أصبح شريكا للشعر في تحديد شعرية النص الأدبي بصفة عامة، و أن الشعرية ليست حكرا على الشعر فقط، بل أن هناك من الشعر لا تجد فيه من الشعرية شيئا نظرا لا تباع أصحابها القافية القاتلة والوزن المخل، وبذلك يعمل الشاعر على إذابة

شعرية قصيدته بالصرامة المفروضة والمسلطة من قبله، أو من قبل النظام الشعري الذي يحاول أن يسلكه أو من كليهما معا .

ونجد أدونيس يقدم لنا فرقا أو فروقا جوهرية بين النثر الشعري وقصيدة النثر فهو من خلال كلامه يميل إلى قصيدة النثر ؛لأنه يجد نفسه فيها أكثر من غيرها من الأجناس الأدبية، فيقول : **"إن النثر الشعري إطنابي، يسهب، بينما قصيدة النثر مركزة ومختصرة وليس هناك ما يقيد، مسبقا، النثر الشعري، أما في قصيدة النثر فهناك شكل الإيقاع، ونوع من تكرار بعض الصفات الشكلية .ثم إن النثر الشعري سردي وصفي شرحي بينما قصيدة النثر إيحائية "** [20]، ونجد سببا وجيها من الأسباب العديدة، التي جعلت أدونيس يميل ويشجع قصيدة النثر،وهذا أنها إيحائية، و هذه ميزة يتميز بها الشعر الحقيقي .

ومن خلال كلام أدونيس عن النثر الشعري وقصيدة النثر،نجد أن المواصفات التي وصف بها الأولى تبعدها أو تبعد الشعرية عنها ؛لأنها تعتمد على السرد والشرح، والشرح يقضي نهائيا على الإيحاء، ويقضي على الرمزية، التي هي أساس الشعرية، بينما المميزات أو الصفات التي ذكرها، والخاصة بقصيدة النثر، بأنها مركزة ومختصرة وحرة تعتمد على الإيقاع، وتكرار بعض الصفات، وأخير بأنها تمتاز بالإيحائية، وهذه الصفات كلها تجعل من قصيدة النثر في نظر أدونيس تتمتع بجميع مقومات الشعر تقريبا، فهي عنده تتفوق على الشعر،فهو في موضع آخر يبين بأن هناك من الشعراء من يقف عاجزا ولا يستطيع أن يكتب قصيدة النثر لما تتمتع به من مميزات والذي يكتبها لا بد أن تكون له " **معرفة عالية بالموروث الشعري العربي وثقافة فنية عالية**"[21]

إن صاحب قصيدة النثر في هذه الحالة يجب أن تكون له ثقافة مزدوجة (تاريخية وأدبية)، وليس بالأمر السهل امتلاكهما معا في الوقت نفسه، و إذا كان هناك من يستطيع أن يبدع في قصيدة النثر فقد حقق الإبداع هدفه، ووصل المبدع إلى مستوى عال من الإبداع الفني الحقيقي ؛لأن قصيدة النثر حسب سوزان بيرنار " **كتلة مشعة مشحونة بحجم صغير بلانهاية من الإيحاءات** " [22]و نجد الإشعاع في حد ذاته يمثل لب الشعرية ويتفق أدونيس مع بيرنار في تقديم وصف عن قصيدة النثر؛لأهما يعلمان حقيقتها ومكانتها الفنية، ومن يتمكن من كتابتها في نظرهما، فهو وصل إلى مرحلة متقدمة جدا من الكتابة الأدبية الإبداعية الحقيقية .

فلكي نُحقق شعرية العمل الأدبي يجب أن تتوفر فينا نحن عدة عوامل كالموهبة والقراءة المتواصلة، والفهم الكلي للذي نقرأه، والخبرة الكبيرة، والواسعة في المجال الكتابة والإبداعية، وطول المران، والذوق الرفيع، والدربة، والذوق النقدي، وكذلك عوامل تخص العمل الإبداعي في حد ذاته، وقد ذكر منها الكثير فيما كتب خاصة المقتبس. إذا كل هذه العوامل الداخلية والخارجية تكون ما يسمى بالشعرية، والتي تجعل من العمل الأدبي يرقى إلى مستوى عال جدا من الفنية، والتأثير في المتلقي تأثيرا يصل إلى درجة الامتلاك، وكأن المتلقي يصبح ملكا وأسير هذا النص، والقصيدة النثرية استطاعت أن تصل إلى هذه الدرجة وإلى هذا المستوى .

كما يتحول النص النثري بهذا العوامل إلى شعر، وكذلك من الشعر ما يتحول إلى نثر، فالأول إذا أضيفت له عوامل، والثاني إذا نقصت منه عوامل، لذلك فإن الشعر **"نثر إذا كان نظما، وإذا النثر شعر إذا كان مشبعا بالصور. "** [23]، وتكثيف الصور ينقل الكلام من المباشرة والشرح إلى الرمزية والإيحاء، وهذا ما تحاول قصيدة النثر دائما بأن تصل إليه وما يتمنى أصحابها تحقيقه، فقد يكون مناصروها يريدون الرقي بالكلمة فعلا لأنهم وجدوا بأن نظام الشعر، وخاصة العمودي منه يقيد الشاعر، ولا يعبر بحرية أكثر مثل تعبيره حينما يكتب قصيدة النثر.أم أنهم أرادوا التغاضي عن القصيدة العمودية ؛لأنهم وجدوا المتلقي يميل إليها، وتمثل له أهم مرجع .

من الغريب أن يصطدم القارئ بنص شعري وهو في الأصل لا ينتمي إلى الشعر أو يواجه القارئ نفسه نصا نثريا فيه كل مقومات الإبداع الفني وتجاوز بذلك كل مراحل الكتابة النثرية، فيصعب الأمر على القارئ في تصنيف هذا النص، و من هذه النصوص التي تعترض طريقنا نص " لجبران خليل جبران " عنوانه "نشيد الأرض" الذي يجعلك في حيرة من أمرك، و في حيرة بين النثر والشعر حين يقول [24]:

ما أجملك أيتها الأرض وما أبهاك
ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس
ما أظرفك متّشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالدجى
ما أعذب أغاني فجرك وما أهول تها ليل مسائل
ما أكملك أيتها الأرض وما أسناك

إن الكاتب من شدة انبهاره بالأرض وتأثره بجمالها صنع هذا الانبهار والتأثر من الشاعر مرآة يرى المتلقي الأرض فيها، فالأرض كانت بالنسبة لنا مبهمة،أو بالأحرى نحن نعيش عليها ولكن لا نعرفها، فالكاتب يمثل النور الذي أزاح هذا الإبهام،الذي كان يخفي عنا حقيقة الأرض، ونُقل إلينا بوصف بارع ودقيق ومبهر، وصف مفعم بالصور، و خاصة في السطر الثاني حين يقول :[25]

ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشّمس

إن هذا السطر كله تصوير وكذلك الشطر مقسم إلى جزأين :

- ما أتم امتثالك للنور من جهة أولى
- وأنبل خضوعك للشمس من جهة ثانية

و هو اتزان فيه من الفنية والإبداعية الكثير، وكذلك هناك العديد من الصور الأخرى التي لا نجدها في بعض القصائد الشعرية ومنها (متشحة بالظل، مقنّعا بالدجى، أغاني فجرك، تهاليل مسائك)، وهي كلها . في حقيقة الأمر. صور شعرية وليست نثرية .

و نجد الكاتب في المقطع الرابع (4)، يوظف الفصول ويتلاعب مع الكلمات فيعطيها سحرا، ووجودا، ورونقا، وبهاءا، فتتلون كما تتلون الفصول، حينما يتكلم قائلا:

"لقد أيقظني ربيعك وسيّرني إلى غاباتك حيث تتصاعد أنفاسك بخورا وأجلسني صيفك في حقولك حيث يتجوهر إجهادك أثمارا، وأوقفني خريفك في كرومك حيث يسيل دمك خمرا، وقادني شتاؤك إلى مضجعك حيث يتناثر طهرك ثلجا، فأنت أنت العطرة بربيعها، الجوّادة بصيفها، الفياضة بخريفها، النقية بشتائها " [26]

فأسلوب " جبران خليل جبران "، من الأساليب السهلة الممتنعة،فأنت تجد العبارات قريبة منك، ولكن يصعب عليك أن تنسج مثل هذا النسيج، و ترسم مثل هذا الرسم وتعبر مثل هذا التعبير .

خاتمــة

إن عالم الشعرية عالم التحرر من قيود المنطق والسائد، وهو التحليق في عالم أكثر اتساعا وأكثر تشويقا ومتعة من العالم الواقعي، بل هو الخروج عنه وكسر تلك الحواجز للانطلاق في الأفق البعيد معلنا ثورته على التجلي والوضوح والتشبث بالإبهام والغموض لترسم فيه أجمل الصور

وأعذبها للتفوق على هذا السكون، وذلك بالكلمة الشاعرية التي تحمل بين ثناياها المتعة والجمال والمعنى القوي والبعيد والموحي والدال في الوقت نفسه ليجعلك الشاعر أو الكاتب تنجذب إلى الصورة التي تنفر منها، وينفرك من الصورة التي تهواها، إنه عالم التناقضات العذبة والممتعة .

وبعد محاولة الدخول إلى هذا العالم الغريب والممتع مع اقتحام فضاء ين وهما الفضاء السردي والفضاء النثري ومحاولة التحرك بين أرجائهما توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجز البعض منها في فيما يلي:

1. إن الشعرية يستطيع تحقيقها النص النثري وفي بعض الأحيان يتفوق هذا النص على العديد من النصوص الموزونة والمقفاة.

2 . الشعرية يخلقها الأديب المتمرس المجرب، الذي يتقن فن الرسم وفن البناء بالكلمات دون عناء، بل يجمعها ليكوّن منها بسهولة نصا متكاملا في اللفظ والمعنى، فتتجلى شعريته على سطح ألفاظه .

3 . الشعرية تتمثل في أنها مجموع العوامل الداخلية العاملة على تكوين العمل الأدبي سواء أكان شعريا أو سرديا أو نثريا وانصهار هذه العوامل مع مجموع العوامل الخارجية الخاصة بالشاعر أو الكاتب وتجربته .

4 . إن الأداء السردي يحتاج إلى تأمل عميق في ذوات الأشياء، وإعادة بنائها من جديد في حركة انسيابية هادئة لينبع معها إيقاعها الخاص المنبعث من الأعماق ليتحول المسرود إلى مؤثر فعال فيه صبغة شعرية مقنعة.

5 . النثر الفني يعتمد على أساليب الابتكار المتنوعة مرتكزا بذلك على تصوير اللوحات المناسبة الناقلة للأفكار بكل أمانة، وهذه الأفكار جلها مصدرها الطبيعة بجميع مظاهرها البشرية والطبيعية والحيوانية لإصدار الصور للمتلقي فتدغدغ إحساسه وتبعث فيه الحياة.

6 . إن الشعرية لا تتمثل في الصورة أو في انسجام الأصوات أو الكلمات، وإنما تنفذ إلى المعنى، فلو نتأمل هذا البيت الذي جاء على هيأة نظم وهو ليس بشعر، ولكن فيه شعرية وهي تكمن في الحوار والصراع بين الخير والشر المبني على الثنائيات الضدية في القول:

العلم يبني بيوتا لا عماد لها ... والجهل يهدم بيوت العز والشرف

فحين نتأمل البيت نجد أنه مبني على ثنائية ضدية محصورة بين طرفيها وهما العلم من جهة، ويمثل كل ما هو إيجابي من بناء وتقدم وازدهار وأمن وسلام واستقرار وضياء ونهار، ويأتي الجهل ويمثل كل ما هو سلبي من هدم وتأخر وانطفاء وخوف وتذبذب وظلام وليل، وفي الأخير الإيجابي يمثل الحياة بأسمى معانيها وأبهى صورها، والسلبي يمثل الموت بأبشع صورها، والشعرية تكمن في هذا الصراع بين ما هو خير وما هو شر، وهذا في احتدام مستمر من أول الحياة إلى يوم الفناء.

هوامش

[1] . هشام باروق: الحداثة الشعرية عند عمران، مجموعة "أنا الذي رأيت" أنموذجا، مذكرة ماجستير في اللغة والأدب، شعبة بلاغة وشعرية الخطاب، جامعة منتوري، قسنطينة،2009،ص187

[2]. هشام باروق: الحداثة عند محمد عمران، مجموعة «أنا الذي رأيت»أنموذجا، ص 222

[3]. المرجع نفسه : ص 222

[4]. محمد عزام : شعرية الخطاب السردي (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،2005،ص93

[5]. المرجع السابق : ص 116

[6]. المرجع نفسه : ص92

[7]. محمد صابر بن عبيد: شيفرة أدونيس الشعرية (سيميا الدال ولعبة المعنى)، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2009،ص44

[8] . المرجع السابق : ص44

[9] . محمد صابرعبيد: شيفرة أدونيس الشعرية (سيمياء الدال ولعبة المعنى)،ص 52

[10]. هشام باروق: الحداثة الشعرية عند محمد عمران، ص 222

[11] . الأعرج واسيني : وجهان لعذاب واحد (نماذج من القصة العربية الجزائرية المعاصرة) منشورات أمل، ص 170 .

[12] . المرجع السابق : ص 171 .

[13] . المرجع نفسه : ص 157 .

[14]. حسين نصار : في الشعر العربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر 2001 م، ص 168 .

[15]. حسين نصار : في الشعر العربي، ص 171 .

[16]. المرجع نفسه : ص 178 .

[17]. المرجع السابق : ص 171، 172 .

[18]. عبد الملك مرتاض : النص الأدبي من أين إلى أين، الجزائر، 1983، ص 27

[19]. سوزان بيرنار : جمالية قصيدة النثر، ترجمة، زهير مجيد مغامس، سلسلة بحوث مترجمة، مطبعة الفنون، بغداد، العراق، ص 7 .

[20]. أدونيس : صدمة الحداثة، دار العودة، ط 2، بيروت، لبنان، 1979، ص 209 .

[21]. أدونيس : الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد 1، ط 5، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988، ص 6

[22]. سوزان بيرنار : جمالية قصيدة النثر، ص 16 .

[23]. ع الملك مرتاض : النص الأدبي من أين إلى أين، ص 26 .

[24]. محمد الهادي الطرابلسي : تحاليل أسلوبية (نص نشيد الأرض لجبران خليل جبران)، ص 117 .

[25]. المرجع نفسه : ص 117

[26]. محمد الهادي الطرابلسي : تحاليل أسلوبية (نص نشيد الأرض لجبران خليل جبران) ص 118